محمّد بودية **السّنة أولى ماستر**
أستاذ محاضر **تخصّص :لسانيات تطبيقية**

محاضرات في اللّسانيات وقضاياها

المحاضرة الأولى : المنهج الوصفي البنيوي وأهمّ المفاهيم اللّسانية الحديثة

سيطر المنهج المقارن، والمنهج التّاريخي، على الدّرس اللّغوي رَدحا من الزّمن، وربّما يعود ذلك إلى أنّ هذين المنهجين قدّما للدّرس اللّغوي الكثير. واستطاع أصحابُهما أن يُقنع الباحثين والدّارسين، بالنتائج التي توصّلوا إليها. وبخاصّة إذا كانت هذه النتائج معتمدة على المادّة العلمية الحقيقية (وأقصد بها ما توفّر لدى العلماء من مدوّنات، وكتب تستحقّ الدّراسة)، أو الميدان (كالمقارنة بين اللّغات واللّهجات، نطقا واستعمالا). وكان من نتائج هذه الدّراسات هو إقبال الكثيرين على دراسة النّحو والتعمّق فيه. والتّفاضل به حتّى كاد البعض أن يحصر اللّغة وعلومها في النّحو. وأصبح من لا يعرف النّحو كأنّه لا يعرف اللّغة، وظهرت سيطرة علماء النّحو والمتمكّنين فيه .

غير أنّ هذه السيطرة لم تدم، فقد جاء من حوّل الاهتمام بالنّحو وقواعده ومعاييره، إلى الاهتمام بعلم آخر، وبمصطلحات ومفاهيم لم يعتدها الدّارسون مادّة ومنهجا للدّرس اللّغوي. سمّي هذا العلم ب (Linguistique)، وشاع عند الباحثين والدّارسين، والمتعلّمين العرب ب **اللّسانيات.**•

إنّ الاهتمام المتزايد باللّسانيات، وشيوع هذا العلم، يجعلنا نبحث عن المصطلحات والمفاهيم الجديدة – أو التي تلقّاها الباحثون والدّراسون على أنّها جديدة– هذه المصطلحات والمفاهيم تكوّنت – بداية– بالمحاضرات التي

• نقل مصطلح (Linguistique) إلى العربية بمصطلحات مختلفة منها: علم اللّغة، والألسنية، واللّغويات، وعلم اللّسان. واللّسانيات. وهذا المصطلح الأخير ظهر في الجزائر. (ينظر: عبد السّلام المسدّي، قاموس اللّسانيات. عربي- فرنسي. فرنسي عربي. مع مقدّمة في علم المصطلح. الدّار العربية للكتاب ص 71.).

جمعها تلامذة فرديناد دوسوسير **(Ferdinand de Saussure).** وخرجت في كتاب نشره بعض تلامذته وعُنون ب:

(Cours de linguistique générale)، الذي تُرجم إلى **محاضرات في اللّسانيات العامّة.** ثم صحبتها مصطلحات ومفاهيم أخرى عند اللّسانيين الذين اشتغلوا بهذا العلم الجديد.

- المفهوم اللّساني لمصطلح النّظام (Système):

إنّ أهمّ مفهوم يرتكز عليه فكر **فرديناد دو سوسير** هو مفهوم النّظام، وهو المفهوم الذي أضاف للدّرس اللّغوي شيئا جديدا. وذلك حينما عدّ **سوسير**، اللّغة مجموعة من الوحدات اللّغوية والدّلائل المنتظمة وفق علاقات معيّنة. هذه الوحدات وهذا الانتظام وهذه العلاقات هي التي يجب أن يركّز عليها اللّساني. وانطلاقا من هذا فإنّ اللّغة عند **سوسير** هي هذا النظام.

وعندما يدرس اللّساني هذا النّظام، فإنّ هدفه من هذه الدّراسة هو اللّغة لا غير.[1]

وهذا المفهوم اللّساني للنّظام اللّغوي، يقود الباحث إلى ضرورة معرفة طبيعة هذه الوحدات اللّغوية وهذه الدّلائل، التي يجب أن يدرسها ويركّز عليها. فإذا كانت اللّغة المنطوقة والمكتوبة، هي مجموعة من الوحدات الصوتية والصرفية والتّركيبية والدّلالية التي تنتظم وفق علاقات معيّنة. فإنّ هناك لغة أخرى غير منطوقة وغير مكتوبة، لكنّها تنتقل من شخص إلى آخر، وذلك مثل لغة الصمّ البكم. إنّ انتقال هذه اللّغة من شخص إلى آخر، يدلّ على أنّ هناك نظاما مشتركا بين الطّرفين؛ هذا النّظام هو الذي يضمن صحّة الانتقال.

وهنا ندرك الفرق بين دراسة اللّغة بالمفهوم المعياري النّحوي، وبين دراستها بالمفهوم الوصفي النّظامي اللّساني. ذلك أنّ المفهوم الأوّل (المعياري النحوي)

1- Ferdinand de saussure. Cours de linguistique générale. Editions TALANTIKIT Béjaia .2002. P 15-16.

مادّته هي اللّغة المنطوقة والمكتوبة فقط ؛ لأنّها هي التي يمكن الحكم عليها بالصّواب أو الخطأ، أو تصحيح الخطأ فيها استنادا إلى المعيار. أمّا المفهوم الثاني فمادّته هي وحدات أو عناصر وعلاقات ودلائل أو علامات. وإذا أخذنا نظام اللّغة المنطوقة و المكتوبة، فلاشكّ أنّ الوحدات الصّوتية والعلاقات التي تنتظم بها، هي التي تأتي في بداية النّظام اللّغوي، وما على اللّساني إلاّ أن يصف هذا الانتظام وهذه الوحدات، وصفا دقيقا.

وهنا فرّق **سوسير** بين **الفونتيك (la phonétique) والفونولوجيا (la phonologie)***، معتبرا الفونتيك علما يهتمّ بفيزيولوجيّة الصّوت، وهو علم تاريخي لأنّه يحلّل القضايا الصوتية، ويدرس تحوّلاتها وتغيّراتها في الزّمن. أمّا الفونولوجيا عنده فهي خارج الزّمن لأنّ عمليّة النّطق تبقى دائما كما هي. وقد شرح **فرديناد دوسوسير** النظام الفونولوجي للّغة نطقا وكتابة. [2]

كما قدّم شرحا لمصطلح **الفونيم (Le phonème)**، رابطا إيّاه بعمليّة الانتقال من مرحلة النطق، إلى مرحلة السّمع.[3]

كما عدّ **سوسير** اللّغة نظاما من العلامات يعبّر عن أفكار، يمكن مقارنة هذا النظام بنظام العلامات في لغة الصمّ البكم، ونظام الرّموز والطّقوس والإشارات الأخرى ؛ كالإشارات العسكرية. لكن يبقى نظام اللّغة المنطوقة والمكتوبة أهمّ هذه الأنظمة جميعا. ويمكن – كما ذكر سوسير– اقتراح علم يدرس حياة العلامات في ضوء الحياة الاجتماعية، ويشكّل جانبا من

---

* هناك فرق بين مفهوم الفونولوجيا عند سوسير، وعند أصحاب المدرسة الوظيفية، التي جاءت فيما بعد، وأسّست مفهومها للفونولوجيا، على أساس الوظيفة.

[2]- Ferdinand de Saussure ,Cours de linguistique générale – p 51-52.

[3] - المصدر نفسه. ص 61-62-63.

علم النّفس الاجتماعي، مع إلحاقه بعلم النّفس العام. وسمّى سوسير هذا العلم الذي اقترحه السّيميولوجيا **(Sémoilogie).**[4]

وقد كان لمصطلح النّظام ومفهومه اللّساني، أثر كبير على الدّرس اللّغوي في العالم كلّه ؛ ذلك أنّ كثيرا من النّظريات اللّسانية ارتبطت بهذا المفهوم في تكوّنها، كما عرفت كثير من العلوم اللّغوية استقلالا عن غيرها من العلوم، بظهور اللّسانيات وذلك كعلم الدّلالة (Sémantique) وعلم التّراكيب (Syntaxe) والمورفولوجيا (Morphologie) .

وجميع هذه العلوم أُسّست على مفهوم النّظام، باعتبار أنّ جميع الوحدات اللّغوية سواء كانت صوتية، أو صرفية، أو تركيبية أو دلالية، توجد في نظام لغويّ معيّن. وهو ما أدّى إلى ظهور مصطلح البنية (La structure) بوصفها مادّة للدّراسة.

– البنية (La structure) بوصفها مادّة للدّرس اللّغوي في ضوء المنهج الوصفي اللّساني:

على الرّغم من أنّ المصطلح الذي استعمله **فرديناد دو سوسير**، هو مصطلح النّظام (Système) إلاّ أنّ ما تداوله اللّسانيون ، واشتغلوا عليه في نظرياتهم هو مصطلح البنية (La structure).

وقد ذكر بعض الباحثين أنّ **سوسير** لم يستعمل مصطلح البنية، ولم يرد هذا المصطلح في كتابه ، وإنّما الذي جاء في محاضراته هو مصطلح النّظام. ومن هؤلاء الباحثين **جان بياجيه**، في كتابه "**البنيوية**".[5]

وقد بدأ مصطلح البنية لسانيا ؛ أي في مجال الدّراسات اللّسانية واللّغوية، ثمّ انتقل بسرعة إلى العلوم الأخرى. حيث انتقل مفهوم البنية – بوصفه مفهوما مهمّا– إلى أغلب العلوم الإنسانية كالفلسفة وعلم الاجتماع ، وأصبح هناك

---

[4] - المصدر نفسه ص 26.

[5] - يُنظر: جان بياجيه، البنيوية. ترجمة: عارف منيمنة و بشير أوبري. منشورات عويدات. بيروت-باريس.ط1. 1958.

اتّجاه بنيوي في هذه العلوم يهتمّ أصحابه بتحليل البُنى الاجتماعية، والسّياسية والاقتصادية، مُنطلقين في ذلك من السّببية وصولا إلى النّتائج.[6]

وقد كان انتقال مصطلح ومفهوم البنية من اللّسانيات إلى العلوم الأخرى سببا في شيوع الاتّجاه البنيوي وسيطرته على الدّراسات العلمية.

وقد قام مجموعة من اللّسانيين بتحليل ودراسة البنية ، و ارتبط هذا التّحليل بتوجّهات وآراء وأفكار متعدّدة تشكّلت من خلالها اتّجاهات لسانية متنوّعة كان أهمّ روادها هم، **ايميل بانفنيست و** أعلام حلقة براغ، وأهمّهم **جاكبسون، تروبتسكوي، ماثسيوس.** كما نجد كذلك من روّاد التّحليل البنيوية **لويس هيلمسلاف،** و **أندري مارتنيه.**

[6] -يُنظر: إيان كريت. النّظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس. ترجمة، د محمد حسين غلوم، و د محمد عصفور. منشورات سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب. الكويت 1999.ص من 237 إلى 256.